الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت بمنطقة تادرت، إقليم جرسيف - دراسة اجتماعية – أنتروبولوجية

Rituals and customs associated with the phenomenon of death in the Tadart region, Guersif province - a social-anthropological study

إعداد

د. جميلة عباوي

Dr. Jamila Abawi

أستاذة التعليم العالي – كلية الحقوق- وجدة – المغرب

نجيب مزوار

Najib Mezouar

طالب باحث بسلك الدكتوراه

Doi: 10.21608/ajahs.2024.350548

استلام البحث ٢٠٢٤/٢/٩

قبول البحث ٢٠٢٤ / ٢ / ٢٥

عباوي، جميلة و مزوار، نجيب (٢٠٢٤). الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت بمنطقة تادرت، إقليم جرسيف - دراسة اجتماعية – أنتروبولوجية. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨(٣١) إبريـــــــل، ٣٧٧ – ٣٩٢.

http://ajahs.journals.ekb.eg

الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت بمنطقة تادرت، إقليم جرسيف - دراسة اجتماعية – أنتروبولوجية

المستخلص:

تتحدث الورقة العلمية عن البنية الطقسية المرتبطة بظاهرة الموت من خلال رصد ابعادها الدينية والاجتماعية بمنطقة تادرت ، التابعة ترابيا لنفوذ عمالة جرسيف، فقد كشفت عن تنوع مذهل للممارسة الطقسية ، بهذه المنطقة ، و صمودها معضمها من التبدل والاندثار ، بفضل تشبث محتمع الدراسة بها ، الاعتزاز بهذه الممارسة وعاداتها الممزوجة بأبعاد دينية وثقافية.

Abstract:

The scientific paper revolves about the ritual structure associated with the phenomenon of death by monitoring its religious and social dimensions in the Tadart region, which is a part of Guercif provincial . It reveals an amazing diversity of ritual practice in this region, and its resilience, most of it has changed and extincted. The community has its own pride in such customs mixed with religious and cultural dimensions.

مقدمة:

تعد ظاهرة الموت من أهم الظواهر التي استحوذت على التفكير الإنساني في كل زمان ومكان، فالتراث الإنساني مليء بالآراء والمعتقدات المتعلقة بظاهرة الموت والحياة والخلود ، وقد تجلى ذلك في مجمل العادات والتقاليد التي تورثتها الأجيال، والتي تعكس في أغلب الأحوال فلسفة المجتمع ورؤيته لطبيعة الوجود بشكل عام والوجود الإنساني بشكل خاص ، غير أن العادات والتقاليد بصورة عامة تخضع لمظاهر التغيير الاجتماعي ومنها الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت ، التي لحقتها مظاهر التغيير بشكل واسع في السنوات الأخيرة ، ومن هنا تكمن أهمية دراسة العادات الشعبية في مجتمعنا المغربي الذي تعرض لتغييرات بنيوية عبر الأزمنة ،الأمر الذي يتطلب إجراء دراسات ترصد الواقع المتغير وتحلل الوظائف العامة للعادات والتقاليد في المنظومات الاجتماعية الجديدة ،فضلا عن أن لهذه العادات قيمة حضارية و موروثا ثقافيا لا مادي وجب الاهتمام به وحفظه من الضياع ، وهو من كان دافعا لنا توجيه الدراسة نحو الطقوس الجنائزية ، و العادات الدينية و الاجتماعية المرتبطة بها ، حيث وقع اختياري على الجماعة القروية تادرت التابعة لنفوذ إقليم جرسيف ، بحكم معرفتنا الجيدة لمنظومتها الاجتماعية والدينية التقليدية المرتبطة بظاهرة الموت وطقوسه ، خصوصا إذا علمنا أن المجتمعات القروية تميل

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أكثر نحو الحفاظ على الموروث الثقافي من التغيير والاندثار بالمقارنة مع نظيرتها في المجتمعات التي تسكن بالمدينة، لذلك سنحاول ملامسة إشكالية الدراسة في هذه الورقة البحثية انطلاقا من المحاور التالية :

المحور الأول : الجانب المنهجي للدراسة .

سنقوم بتحديد إشكالية الدراسة و الأسئلة المرتبطة بها و فرضياتها و الأهداف التي تسعى إليها ، والأهمية التي ستضيفها هذه الدراسة ، و المنهجية التبعة في هذه الدراسة من خلال تحديد المجتمع الأصلي والعينة والمنهج المعتمد في مقاربة الظاهرة المدروسة والأدوات الموظفة فيها ، كما سنقف عند بعض المصطلحات المهيكلة للدراسة .

المحور الثاني : رصد الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت ووظائفها

المحور الثالث : نتائج الدراسة :

خاتمة: خلاصة للظاهرة المدروسة والآفاق التي تفتحها في مجال البحث العلمي لإغناء الموضوع .

المحور الأول : الجانب المنهجي للدراسة .

١ – إشكالية الدراسة :

يعيش الإنسان صراعا مريرا مع الحياة ، وبمقتضى هذا الصراع نجده يجتهد ويكد من أجل تأمين حياته وحياة أبنائه بشتى الوسائل من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تربط بالعديد من المؤسسات الاجتماعية كالأسرة و العمل ، والهدف تكوين كيان اجتماعي يحظى بالاحترام داخل المجتمع ، لكن في نهاية هذا الإنجاز يجد نفسه هذا الكائن الاجتماعي الذي هو الإنسان ، مرتبطا بشكل حتمي بمصير الموت الذي يحطم كل ما بناه من تحصين مادي ومعنوي لسنوات عديدة ، وما يهمنا من دراسة ظاهرة الموت ورصد التقاليد والعادات وأبعاده الاجتماعية والثقافية و كشف أهم وظائفها ، لذلك، فالأسئلة المطروحة حول إشكالية الدراسة تدور وفق الآتي :

ماهي مميزات الممارسة الطقسية المرتبطة بظاهرة الموت في منطقة تادرت ؟ ، وإلى أي حد حافظت هذه المنطقة على البنية الطقسية و ومعانيها الاجتماعية والثقافية والدينية من التبدل والتغير ؟ و ماهي الفئات الاجتماعية الأكثر تمسكا بهذه الطقوس والعادات ؟ وهل تختلف هذه البنية الطقسية من طبقة اجتماعية لأخرى ؟

٢- فرضيات الدراسة :

للفرضية دور مهم في ترشيد البحوث العلمية ، لأنها تضع البحث في إطار محدد ، يستطيع من خلاله الباحث التقيد بخطوات أساسية للوصول إلى نتائج علمية صحيحة لذلك سنحاول في هذه الدراسة التحقق من الفرضيات التالية :

الفرضية الأولى : تتميز الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت بمنطقة تادرت ، بتنوع معانيها ودلالاتها الاجتماعية والدينية ؛

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الفرضية الثانية : حافظت منطقة تادرت على المميزات و المعاني الاجتماعية والدينية للطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت .

وتتفرع عن هذه الفرضية مجموعة الفرضيات الفرعية ، وهي كالتالي :

- **تختلف الطقوس الجنائزية باختلاف الطبقات الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسر.**
- **تمسك فئات العمرية المسنة بالتقاليد والعادات أكثر من باقي الفئات العمرية الأخرى ، كما تعد النساء الأكثر تمسكا بالتقاليد المرتبطة بظاهرة الموت أكثر من الرجال .**

٣ : أهداف الدراسة :

نهدف من هذه الدراسة الميدانية رصد العادات والتقاليد المرتبطة بظاهرة الموت من خلال السياقين الاجتماعي والديني الذي تدور في فلكهما وفهم وتفسير أشكال التعبير عن الحزن وما يرافقها من تصرفات وسلوك مادي يمارسه أقارب المتوفى أفرادا وجماعات و تتبع التغييرات التي طرأت على تلك الطقوس ومعرفة ما ظل راسخا منها على التبدل والتحول، وكذلك الوظائف التي تؤديها هذه الطقوس والمراسيم بمجتمع الدراسة وكذلك

٤ ـ أهمية الدراسة :

فمنذ بداية التاريخ نجد أن الإنسان يهتم بالموت ويحاول بشتى الوسائل حماية موتاه حسب اعتقاده من عذاب الآخرة ،وذلك عن طريق القيام بمراسم وطقوس محددة يحرص على تنفيذها بدقة عالية مهما كان المجتمع الذي ينتمي إليه بدائيا،فهي تقوم بوظيفة محددة ،حيث نجد هناك اعتقاد قوي بجدوى هذه المراسيم والطقوس في تحقيق الراحة والطمأنينة والخلود للميت في حياة الآخرة ، وقد لاحظنا نذرة دراسات حول هذه الظاهرة ، فقررنا خوض هذه التجربة بشكل مشترك ، والهدف يتمثل في إغناء الجانب المعرفي في الموضوع ، وكذلك تقديم مادة علمية للمهتمين بالثقافة اللامادية بمنطقة تادرت .

٥ : منهج الدراسة :

اعتمدت في هذه الدراسة المتعلقة بالطقوس المرتبطة بالموت على مناهج الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، والتي يمكن تعريفها وفق مايلي :

الأنتروبولوجيا :تعرف على أنها علم مختص بدراسة الإنسان وثقافته قد قسم الأنتربولوجيون هذا العلم إلى ثلاث فروع أساسية ـ حسب نظرتهم إلى الإنسان ـ على الشكل التالي :

النظرة إلى الإنسان باعتباره كائن اجتماعي بطبعه في جماعات مختلفة ساهم في ظهور فرع الأنتروبولوجيا الاجتماعية ؛

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

- النظرة إلى الإنسان على أساس أنه حامل للثقافة وناقل لها عبر الأجيال ساعدت على ظهور فرع الأنتروبولوجيا الثقافية (فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس إبراهيم : الأنتروبولوجيا الثقافية) ، ويعتمد هذين الفرعين بشكل كبير على المنهج الوصفي التحليلي وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم، لوصف ظاهرة ما أو مشكلة معينة، لتصويرها كميا أو كيفيا عن طريق جمع البيات لغرض إخضاعها للدراسة الدقيقة ؛ حيث وقع اختياري على ظاهرة الموت ، في محاولة لوصف العادات والتقاليد المرتبطة بهذه الظاهرة ورصد أبعادها الاجتماعية و النفسية ، وكل هذا من أجل التعرف مدى ثبات هذه العادات أو تغيرها في مجتمع البحث .

٦ - حدود الدراسة :

أ- الحد المكاني: أجريت الدراسة بمنطقة تادرات التابعة ترابيا لعمالة جرسيف ؛

ب- الحد الزماني: أجريت الدراسة الميدانية خلال السنة ٢٠١٩ ، قبل ظهور جائحة كوفيد ١٩ ؛

ج - الحد الموضوعي : من خلال تسليط الضوء على الطقوس والعادات الاجتماعية والدينية المرتبطة بظاهرة الموت بمنطقة تادرت .

٧ - المجتمع الأصلي وعينة الدراسة :

بالنظر لطبيعة الافتراضات التي تشكل تصورات أولية لتوجيه سير الدراسة ، فقد تم اختيار عينة قصدية من حيث طبيعة الأفراد وخصائصهم العمرية والمستوى التعليمي والاجتماعي ، ومكان الإقامة ، وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من ١٠ أسرة ، اختبرت فاجعة الموت ، وشاركت حزن أحد أفرادها أوجيرانها ، كالأئمة وحفار القبور ، وقارئ القران، وبعض النسوة والرجال من كبار السن، وبعض الشباب،

وكان اختيار بعض كبار السن كونهم من حفظة التراث وشاهدين على التغيرات الحاصلة على الظاهرة المدروسة . أما اختيار بعض الفئات الشابة يرجع بالأساس ، كونها فئة فاعلة في التغيير ، وسيعطينا فكرة عن العادات والتقاليد الراسخة عن التغيير ، وأخرى خضعت للتبدل والتغير أو الاندثار . أما المجتمع الأصلي الذي وقعت الدراسة الميدانية، فهو يتميز بالخصائص التالي :

أ- الموقع الجغرافي :

تقع جماعة تادرت على الطريق الوطنية رقم ٦ على بعد ٤٣ كلم شرق مدينة تازة وهي تبعد ب ٢٢ كلم عن مدينة جرسيف إلى الغرب. وتم

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

إحـدثت جماعـة تـادرت سـنة ١٩٩٢علـى إثـر التقسـيمات الإداريـة التـي شـملت جماعـة أولاد رحـو تقـدر مسـاحتها ١١٢٣ كلـم ٢ ، وهـي عبـارة عـن هضـاب و سـهول جافـة علـى ارتفـاع مـا بـين ٤٠٠ م و ٤١٠ م عـن مسـتوى سـطح البحـر . يحدها :

- ـ شمالا : جماعة صاكا و جماعة مزكيتام .
- ـ جنوبا : جماعة رأس القصر وجماعة الصباب .
- ـ شرقا : جماعة هوارة أولاد رحـــــو .
- ـ غربا : جماعة كلدمان وجماعة مكناسة الشرقية .

وتخترقهـا مـن الغـرب مجموعـة مـن الأوديـة الموسـمية أشـهرها واد ا مسـون وواد الكطـاف ، ومـن الجنـوب واد مللـو الـذي ينبـع مـن الأطلـس المتوسـط . ويتكـون مركـز الجماعـة مـن ضـيعات فلاحيـة وزعـت علـى صـغار الفلاحـين بعـد الاسـتقلال ،مسـاحة كـل ضـيعة خمـس هكتـارات ، تسـمى(الرانـات) تسـقى عبـر قنـاة للـري مـن سـد تلـي علـى وادا مللـو ، معظمهـا مغـروس بأشـجار الزيتـون . وباسـتثناء الأجـزاء الوسـطى التـي لاتشـكل إلا ربـع مسـاحة الجماعـة ، يمـارس معظـم السـكان نشـاطا فلاحيـا بسـيطا يعتمـد علـى الرعـي والزراعـات البوريـة ، التي لاتكفيهم ذاتيا في المواسم الجافة .

ب :السكـــن و السكان:

يتجمـع سـكانها بالإضـافة إلـى المركـز فـي مداشـر ودواويـر متنـاثرة يصـل عـددها ٦١ دوار ، أبرزهـا دوار السـويهلة فـي الجنـوب الغربـي علـى مسـافة ٢٠ كلـم مـن المركـز ، والصفصـفات علـى بعـد ١٠كلـم ، وقصـبة امسـون ٢٠ كلـم ..... يقـدر عـددهم حسـب إحصـاء ٢٠١٤ ب ٢٠٧٧٦ نسـمة مـنهم ٤٢٠٤ سـكان نشـيطين . تصـل الكثافـة السـكانية إلـى ١٦.٧٦ ن/كلـم٢،و نسـبة الخصـوبة ٧% ، ونسـبة الزيـادة الطبيعيـة ٠.٨ % معظـم السـكان يتكلمـون العامية المغربية العربية و أمازيغية ،قد أبدع السكان هذه المنطقة

ـ بفضـل هـذا التنـوع اللغـوي ـ أشـكالا إبداعيـة رائعـة تمثلـت فـي الأغـاني الشـعبية والأمثال و الزجل...وغيرها (مجلة الجماعة القروية ، تادرات ؛ ٢٠١٧)

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

خريطة المجال المدروس

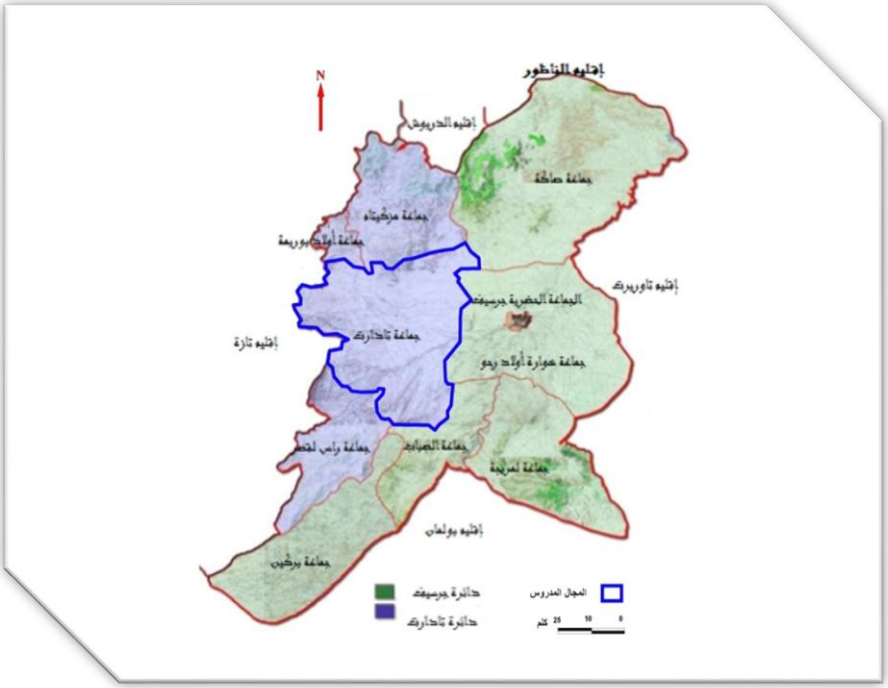

٧- أدوات الدراسة الميدانية :

تبنينا مجموعة الأدوات لجمع بيانات الدراسة الميدانية ، التي تنسجم مع موضوع الدراسات السوسيو انتروبولوجية ، وهي كالتالي :

- المقابلة المفتوحة : وتمت بطريقتين : مقابلة مباشرة اتصفت بطابع الحوار المفتوح الموجه من قبل الباحث ، حيث تطرح الأسئلة ويجيب المبحوث عنها مباشرة .
- المقابلة غير المباشرة: يفسح فيها المجال المستجوب ليقول ما يشاء دون مقاطعة .

كما أخذت المقابلة شكلين أساسين ،فمنها ما كانت مقابلات فردية ومنها ما كانت مقابلات جماعية للتأكد من صدق المعلومات، ومدى التطابق الحاصل بين أجوبة المبحوثين، وهذا ما يساعد على استنباط معايير الصحة والخطإ بعيدا عن الغايات الشخصية . كما اعتمدت في هذه الدراسة على المبحوثين من كبار السن للحصول على العادات القديمة المرتبطة بظاهرة

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المـوت بوصـفهم شـاهدين علـى التغييـر الحاصـل ، فضـلا عـن بعـض البـاحثين من الشباب باعتبارهم فاعيلين في هذا التغيير .

- الملاحظـة المباشـرة للظـاهرة موضـوع الدراسـة : تعـد أداة هامـة لفهـم الظـاهرة فهمـا دقيقـا مـن خـلال رؤيتهـا بـالعين المجـردة والوقـوف علـى كثيـرمن التفاصـيل حـول الظـاهرة المدروسـة وتجنـب السـؤال عـن كـل شـيء يتعلـق بالموت وطقوسه .

وتعـد هـذه الأدوات مـن الطرائـق التـي تصـلح لهـذا النـوع مـن الدراسـات السوسـيو انتروبولوجيـة ؛ لأنهـا مبنيـة علـى المـنهج الكيفـي أكثـر مـن اعتمادهـا للمنهج الكمي .

٨- المفاهيم المهيكلة للدارسة .

إن أول عمـل سـنبدأ بـه هـذا البحـث هـو تحديـد المفـاهيم والمصـطلحات، لأنـه يعـد عمـلا ملزمـا وملحـا، لأي باحـث ودارس يرغـب مقاربـة أي ظـاهرة ثقافيـة أو فكريـة فـي أي علـم مـن العلـوم. فالتحديـد المصـطلحي للمفـاهيم يشـكّل القاعـدة والأسـاس الـذي يقـف عليـه الباحـث علـى اعتبـار أن المصـطلحات شـكلت المـدى التـاريخي سـنة مشـتركة بـين المهتمـين بـأي علـم مـن العلـوم ومـن هـذا المنطلـق شـكل تحديـد المصـطلحات عمـلا مألوفـا وسـلوكا محمـودا فـي كتـب علمائنـا القـدامى. وهـذا مـا سـنحاول مـن جهتنـا توضـيحه فـي حـدود مـا تسـمح بـه إمكاناتنا وما يسمح به المقام.

١- مفهوم الدين :

أ : الدلالة اللغوية :

الـدين بكسـر الـدال المهملـة لـه معـان واسـتعمالات كثيـرة فـي المعـاجم اللغوية ، أهمها :

العـدل والشـأن والحـال ، يقـول ابـن منظـور(**جمـال الـدين بـن منظور،لسـان العـرب ،ج ٥٥**) "والـدين : العـادة والشـأن ، تقـول العـرب :ذلـك دينـي وديـدني ،أي عـادتي ". أمـا أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا فيقـول : فأمـا قـولهم أن العـادة يقـال لها دين ،فإن كان صحيحا فلأن النفس إذا اعتادت شيئا مرت معه وانقادت له.

ب: الدلالة الاصطلاحية:

يعـرف الجرجـاني الـدين(**١٩٨٥م**) : بقولـه "الـدين وضـع ألاهـي يـدعو أصـحاب العقـول قبـول مـا عنـد الرسـول ﷺ . والـدين والملـة متحـدان بالـذات مختلفتـان بالاعتبـار فـإن الشـريعة مـن حيـث إنهـا تطـاع تسـمى دنيـا ومـن حيـث أنها تجمع تسمى ملة ومن حيث يرجع إليها تسمى مذهبا " .

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

مفهوم الطقوس :

يعرفها عبد الرحيم بوهاها ،(العبور في الإسلام ، ٢٠٠٩) في الدلالة اللغوية عرفها تشتق كلمة طقس Rite من الكلمة اللاتينية Ritus "في مقابل اللفظ العربي " المناسك أو الشعائر"

أما الدلالة الاصطلاحية ف"تعني تقاليد وعادات مجتمع ما كما تعني كل أنواع الاحتفالات، والمراسيم التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي، وهي خلفت لماض غامض غالبا لكنه معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني ،كما أنها عبارة عن احتفالات ناطقة باعتقادات ما ورائيّة تتصف بالتكرار في أدائها وبالثبات في مكوّناتها وعناصرها" (بوهاها ،العبور في الإسلام ، ٢٠٠٩) .

وتندرج الطقوس في الحياة الاجتماعية بعودة الظروف التي تستدعي إعادة القيام به ،لتأدية مهمة وإعطاء نتيجة عبر تلاعبه ببعض الممارسات لاجتذاب العقول ،وجعلها تؤمن بها عبر استحضار البعد الديني غير أن بعض الطقوس اليوم تحولت من ممارسة الطقوس إلى تطقيس الممارسة ،فعلى سبيل المثال لا الحصر طقس الختان الذي تحول من طقس ديني إلى مظهر خارجي للتباهي .

٢- مفهوم الموت :

ب : في الدلالة اللغوية : في المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٢) الموت َضد الحياة ، ويطبق الموت ويراد به ، مايقابله العقل والإيمان ، نحو ما في التمزيل العزيز .

ب - في الدلالة الاصطلاحية: يعرفه الوائلي ، (عبد الجبار **١٩٩٢**) ، بأنه "هو مفارقة الروح للجسد، وتوقف أعضاء الجسم عن الحركة والانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء، والموت نهاية كل حي وحياة كل ميت " .

٤- مفهوم الجنائز :

أ : في الدلالة اللغوية :جاء في معجم الوسيط :" أن الجنازة : النعش والميت وهما مع المشيعين"

ب : في الدلالة الاصطلاحية يقول الأصمعي : "الجنازة بالكسر هو الميت نفسه ،و العوام يقولون إنه السرير،وتقول العرب جنازة أي ميتا " (مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٢) .

المحور الثاني: الممارسة الطقسية المرتبطة بظاهرة الموت ووظائفها المتعددة

١- طقوس الموت بمنطقة تادرت :

أ : الاحتضار وتوديع الميت للحياة :

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

علـى إثـر مـرض الإنسـان يصـبح طـريح الفـراش، يأمـل يشـفى منـه ،لكـن عنـدما يشـعربعدم قدرتـه علـى التماثـل للشـفاء ليكـون علـى يقـين مـن أنـه سـيفارق هـذا العـالم الـذي نشـأفيه ،فيطلـب رؤيـة أقـارب العائلـة وأصـدقائه ،فتلبـي العائلـة كـل طلبـات هـذا المـريض مـن أكـل وشـراب ، وفـي هـذه الفتـرة يطلـب السـماح مـن كـل مـن يـدخل علـى رؤيتـه لزيارتـه ليتمكن مـن الرحيـل بسـلام قبـل أن يلفـظ أنفاسـه الأخيـرة ،حيـث يقـوم أفـراد أحـد الأصـدقاء أو فـرد مـن أقاربـه ، بتـذكيره بلفـظ الشـهادة ، والقيـام إغـلاق فـم وعـين الميـت، لتكـون آخـر كلامـه ، ويلاحـظ بعض الهديان الصادر عن المحتضر،فيردد كلاما غير مفهوم .

وتعتبـر مسـألة التـذكير بالشـهادة والقيـام بـإغلاق فـم وعـين الميـت،من الأمـور،التي يحـرص عليهـا أفـراد العائلـة ،لتسـهيل خـروج المحتضـر ولضـمان انتقاله إلى العالم الأخر بأمان .

ب : تحضير الميت للغسل :

فـي هـذه المرحلـة يظهـر التخصص،فالغاسـل للميـت الذكر،والغاسـلة للميتـة الأنثـى، وهـذا التخصـص تنفيـذا لأحكـام الشـرع الإسـلامي،ويكون غسـله بالمـاء والصـابون وتسـتعمل بعـض العطـور ، حيـث يفـرك جسـم الميـت وينشـف الميـت جيـدا ، وقـد يسـمح لأهـل الميـت حضـور عمليـة الغسـل،وإن كـان فـي كثيـر من الأحيان يبعدون حرصا على مشاعرهم ،

وتقليـد غسـل الميـت وطقـوس المحيطـة بـه أهميـة كبيـرة ، إذ أن الميـت سـينتقل إلـى عـالم أخـر وحيـاة أخـرى، لـذلك يجـب أن يلاقـي خالقـه بجسـد طـاهر .ويشـترط في صحة الغسل النية وطهارة الماء وإزالة النجاسة عن البدن الميت .

ج :عملية التكفين والتشييع :

الكفـن واجـب عنـد جميـع المـذاهب الإسـلامية ،والكفـن عبـارة عـن قمـاش ذات لـون أبـيض تلـف بهـا جثـة الميـت وبعـد الانتهـاء مـن عمليـة التفكـين ومـن ثـم ينقـل جثمانـه فـي موكـب مهيـب إلـى المسـجد للصـلاة علـى الميت(ة)،حيـث يحضـر رجـال القريـة وبعـض الأطفال،وتجـذر الإشـارة إلـى إن موعـد الـدفن خاضـع لمجـيء أقـارب الميـت ، وموعـد وصـولهم فـي عصـرنا الحـالي ، ولـيس لأوقـات الصـلاة كمـا كـان فـي قـديما ، وذلـك مـن أجـل إلقـاء نظـرة أخيـرة علـى الميـت وتوديعـه مـن قبـل أبنائـه وذويـه ، ومـن هنـا تظهـر الوظيفـة الاجتماعيـة للمـوت حيـث يجمـع شـمل العائلـة ويعيـد مـن انقطـع مـن علاقـات وصـلات بـين الأقارب الأحياء .

د: الصلاة على الميت : "صلاة الجنازة " .

يحـض الإسـلام علـى صـلاة الجنـازة علـى المسـلمين علـى اخـتلاف مـذاهبهم ،وأن الصـلاة لاتجـوز إلا بعـد الغسـل والكفـن والصـلاة تكـون بـأن

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يوضع الميت مستلقيا على ظهره ويقف المصلي وراء الجنازة باتجاه القبلة وبعد ذلك تتم الصلاة كما هي معروفة عند الأئمة . أما الشهيد لا يغسل ولا يكفن ، بل يدفن بثيابه .

هـ : الدفن:

بعد الصلاة تنقل الجثة إلى المقبرة في نعش خشبي يحمله أقراب ميت فقط ،ويذهب معه أفراد الفرية ، وخاصة جيرانه ، ويأتي هذه المرحلة بعد أن القبر مجهزا مسبقا ، ويكون محفورا على عمق مترين وعرض متر واحد،ويكون حفر هذا القبر بتعاون مع الجيران وأقارب الميت(ة) بدون مقابل، كما هو الشأن بالنسبة لعمليتي الغسل والتكفين، وهوما يدل على أهمية التضامن بين عائلة الفقيد وأهل القرية،وتتم عملية الدفن بأن ينزل أحد الأشخاص إلى القبرويستقبل الجثة ويضعها في القبر على جانبها الأيمن وبشكل مواجه للقبلة،وقد تضع بعض العائلات تحت الجثة فراشا أو بعض ممتلكات الميت التي يكون قد أوصى بها قبل وفاته احتراما لرغبته ، وبعد إنزال الجثة في القبر يتم وضع فوقها "قطعة خشبية مسطحة" لمنع تسرب التراب والحيلولة دون وصول الحيوانات المفترسة للجثة التي تسعى إلى نبشها والتهامها، ثم يتم ردم التراب عليها ، و الأخير تتلى آيات من الذكر الحكيم مع الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة .

و- العزاء " في منزل الميت"

العزاء يعني الصبر، والتعزية تعني التصبير والحمل على الصبر، بذكر ما يسلي المصاب ،ويخفف حزنه ،ويهون عليه مصيبته .

وينبع حرص أفراد القرية على تقديم واجب العزاء لدافع ديني الذي تحث عليه السنة النبوية والدافع الاجتماعي من خلال مشاركة الجماعية ، في المصاب الجلل والألم الذي أصاب أقاربه و أبنائه و عائلته وتعد طقوس العزاء فرصة الالتقاء والتآزر ونسيان الاختلاف ، على اعتبار أن الموت ظاهرة ستلحق الجميع دون استثناء ، وهذا ما يعزز التماسك الاجتماعي والتضامن الإنساني ،

ز- التجهيز للمأتم :

يحرص أقارب الميت وجيرانه بالقرية على تجهيز المأتم فور إعلان الوفاة ،ومن التجهيزات نجد في العصر الحاضر تجهيز خيمة أمام منزل الفقيد لتلقي العزاء ،كما يعمل أقارب الميت و الجيران و بعض سكان المنطقة على شراء كل المواد الغذائية لإكرام المعزين ، خصوصا إذا كان أهل الفقيد من أسرة معوزة ، وهذا التآزر المادي والمعنوي لا زال حاضرا لحد الساعة بمنطقة تادرت .

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ح – طقوس تلقي العزاء:

يبدأ المعزون بالوفود إلى دار المتوفى ، فيبدأون بالسلام على أقارب الميت وترديد "عبارا ت الله يرحمه ، الله يعظم الأجر "بعد ذلك يطلب من المعزين الجلوس وفي أحيان كثيرة يطلب من أحد الجالسين من أهل التخلي عن مكانه لأحد الضيوف لعدم وجود مكان يجلس فيه،بمجرد دخولهم بيت المرحوم توزع عليهم التمر، ويعتبر واجب التعزية في القرية إلزاميا من أقارب الميت،وإذا تخلف أحدهم سيعرضه للتوبيخ والمقاطعة من قبل أقارب الميت .كما يحتم على النساء أيضا تقديم واجب العزاء ويحتم عليهم ارتداء الملابس المعبرة عن الحزن ، ولايجوز وضع أي نوع من أنواع الزينة كالحلي والحناء وغيرها ؛ لأن الاهتمام بالزينة ينظر إليه من قبل أفراد الميت انتقاصا من مكانة المتوفي وعدم تقدير لحزن أقاربه .

وقد أظهرت هذه الدراسة الميدانية ظهور تصرفات خصوصا عند النساء، فعند قدومهن لبيت المتوفي يبدأون بالثرثرة والأحاديث الجانبية ، وينسون أمر الوفاة ومشاركة أهل المتوفى في أحزانهم وعدم الاستماع لتلاوة القرآن الكريم ،وهذه من السلبيات المرصودة في هذه الدراسة الميدانية .

ويتلى القرآن الكريم ، في الأيام الأولى من الوفاة، باستمرار من قبل قراء الذي يطلق عليهم اسم"الطلبة " وهذا الطقس لازال حاضرا إلى اليوم ،ويستغل حضورهم ،من قبل المعزين لكي يطلب منهم الدعاء لذويهم من الموتى، ومنهم من يقدم مقابلا ماديا لهذا الدعاء أو ما يسمى عندهم ب"المعروف " في العامية المحلية .

ط – تقديم الطعام للمعزين خلال أيام الحداد:

قلنا سابقا بأن أهل الفقيد يجهزون المأتم بإحضار، جل المواد الغذائية لأكرام المعزين ،نفس الدور يقوم به أهل القرية لأهل الميت ، خصوصا إذا كان من أسرة فقيرة .

يتم ذبح كبش أو ثور في هذه المناسبة إذا كان أهل الميت من عائلة غنية وغالبا ما تكون نوعية الطعام المقدم للمعزين عبارة عن اللحوم والكسكس، و"السفة "وتأتي في إطار الاحترام والتقدير للمعزين وبمثابة شكر لهم لقيامهم بواجب العزاء ،فضلا عن كون الاستضافة تعد ركنا مهما في نجاح مراسم العزاء وظهورها بمظهر لائق بأهل الميت وتدوم هذه المراسم ثلاثة أيام كحداد على الميت .

أما في العصر الحاضر نلاحظ المبالغة في الأكل المقدم للمعزين من خلال ظهور مأكولات جديدة ، مثل المشروبات وغيرها .

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ي _ الاحتفال بذكرى الأسبوع:" السابع "

يعد الاحتفال بالذكرى الأسبوع أو ما يسمى بالعامية عند مجتمع البحث" السابع "عادة قديمة لربط الاتصال بالميت من جديد ،حيث تتم قراءة آيات من الذكر الحكيم من قبل "الطلبة" في وقت العشاء ، ويحضرها فقط أقارب الميت دون غيرهم من الناس فتقدم لهم الطعام بهذه المناسبة ، ويرفع الدعاء بالرحمة للميت والدعاء بالصالح والفلاح لأهله .وفي هذا اليوم يقوم أقارب الميت بتقديم الكسكس باللحم للأطفال الصغار بالقرية وخاصة أبناء الجيران ، وهذه العادة لازالت حاضرة إلى اليوم .

ك – الاحتفال بذكرى الأربعين:

رغم كون الدين الإسلامي لم يشر إلى الاحتفال بذكرى الأسبوع أو الأربعين إلا أن أهل المنطقة يحتفلون بالذكرتين معا و تختلف ذكرى الأربعين عن ذكرى الأسبوع ،ففي ذكرى الأربعين توجه الدعوة بشكل عام لعائلة الميت وغيرهم من أهل القرية . وبينت هذه الدراسة أهل المنطقة يحتفلون بهذه الذكرى اعتقادا منهم أن روح الميت تلازم البيت حتى يوم الأربعين، وفي هذه الذكرى يتم تلاوة القرآن الكريم رفع أكف الدعاء بالرحمة للميت من قبل" الطلبة ". وطيلة هذه المدة يحرم التزين كوضع الحناء بالنسبة للنساء و تسريح الشعر وغيرها والاحتفال كالزواج أو الخطوبة ، لكن ملاحظتي للظاهرة المدروسة كشفت أقلية تخرق هذا التقليد من خلال قيامها باحتفالات زواج وختان وغيرها ، خلال الأيام الأولى للوفاة ، ودون مراعاة لمشاعر أهل وأقارب المتوفى .

ل – الاحتفال الذكرى السنوية:

هذه العادة لم تظهر إلا مؤخرا وتهدف هذه العادة لإحياء ذكرى الميت محاولة من أهله لإظهار أهميته رغم رحيله كما تجدد الاتصال به من خلال الدعاء به بالغفران والرحمة،وتحدث بشكل كبير في الأسر الميسورة .

ف – زيارة قبر الميت :

من مظاهر الاتصال بالميت زيارة قبره ، خصوصا في الأعياد و المناسبات الدينية مثل ليلة القدر في شهر رمضان المعظم وعيد الفطر وعيد المولد النبوي ، حيث تتم تلاوة القرآن الكريم عليه ، والتصدق عليه بالمال و بعض المواد الغذائية أو الألبسة للفقراء والمحتاجين .

٢ – وظائف الطقوس والعادات المرتبطة بالموت :

لطقوس الموت وظائف متعددة نحددها في ما يلي :

- الوظيفة الدينية : تستمد هذه الطقوس المتعلقة بالموت وعاداتها شرعيتها من تعاليم الدين الإسلامي ،فالقيام بها - خصوصا غسل الميت والتكفين والصلاة عليه -

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من تعاليم الدين الإسلامي فالعمل بها من باب نيل الثواب وعدم القيام يعد تخليا عن أحكام هذا الدين ، كما أن تعد الطقوس بمثابة الإخضاع لقدره الله عز وجل والإيمان به و تذكر المؤمن بالآخرة والعقاب والثواب .

- الوظيفة الاجتماعية : تعبر ظاهرة موت من المناسبات،التي يحضر الجانب الاجتماعي بشكل قوي من خلال التآزر مع أهل الميت وتقديم العون والمساعدة من تعزية و تجهيز المأتم و غسل ثم دفن وتشييع، كما أن مناسبة الموت تشكل فرصة كبيرة لتناسي المشاكل والخلافات بل أن هذه الظاهرة تشكل فرصة لجمع الشمل وتعزيز الروابط .
- الوظيفة الثقافية : تشكل هذه الطقوس فرصة للتميز الثقافي الذي يميز منطقة تادرت عن غيرها من المناطق بالمغرب ، حيث ظلت هذه الممارسة الطقسية صامدة بشكل كبير عن الاندثار والتغيير، وخاصة عند الفئات المسنة بمنطقة تادرت .

المحور الثالث: نتائج الدراسة .

خلصت الدراسة الميدانية حول ظاهرة الموت والطقوس والعادات المرتبطة بها ، بالعديد من الاستنتاجات تؤكد صحة الفرضيات التي انطلقنا منها في هذه الدراسة :

- تتميز الطقوس والعادات المرتبطة بالموت بمنطقة تادرات بالتنوع والغنى ؛
- تحمل البينة الطقسية للظاهرة المدروسة أبعاد دينية واجتماعية وثقافية ؛
- أكدت الدراسة أهمية الرابطة القوية بين الجيران في منطقة تادرات ودورها في تقديم أشكال الدعم المادي والمعنوي لأقارب الميت ؛
- أصبحت مسألة التضامن الاجتماعي وأشكال التعبير عن الحزن مقتصرا عن أهل الميت بعد أن كان في العهد القريب يعم القرية بأكملها ، إذن لوحظ تراجعا في الاهتمام بالموت خارج دائرة الأسرة التي أصابها الحزن بموت أحد أفرادها .فاليوم نجد أسرة تحتفل بالأفراح كالأعراس و بجانبها أسرة أخرى لديه احتفالات جنائزية في غياب إحساس تام بالأسرة المكلومة وتقدير مشاعرهم؛

– بينت هذه الدراسة أن طقوس الموت بدأت تختلف شيئا ما بالنسبة للأسر الميسورة خصوصا في استضافة المعزين، حيث تتكلف جهة معينة في تقديم الطعام والشراب لهم خصوصا في المدينة عكس القرى ،التي تظل وفية لهذه الطقوس،وذلك لاعتبارات دينية وقبلية صرفة ؛

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

- كشفت هذه الدراسة من خلال المقابلات المباشرة مع كبار السن ،أن هذه الفئة الأكثر حفاظا على طقوس الموت من خلال التشبث بعدد أيام الحداد وعدم إظهار الزينة وأشكال الفرح ؛
- يبدو تمسك النساء بمظاهر الحداد أكثر من الرجال في هذه القرية، خصوصا تلك اللواتي فقدت زوجها حيث يفرض عليها الشرع ملازمة بيت الزوجية ثلاثة أشهر ، ،كما تتمسكن ، طيلة أيام الحداد ، بلباس الحداد للدلالة على الحزن ،وتجنب مظاهر التبرج والزينة وخصوصا وضع الحناء ؛
- بينت الدراسة أن طقوس الحزن ومظاهره تختلف باختلاف مكانة الشخص في العائلة وسنه، فمظاهر الحزن على الأخ الشاب أو الابن بالنسبة للأم أو الأب تختلف عن مظاهر الحزن بالنسبة للأم والأب أو الجد أو الجدة الكبار في السن.

خاتمة :

لقد استمدت الطقوس والعادات المرتبطة بظاهرة الموت "بمنطقة تادرت "مشروعيتها من الشرع الإسلامي ، من جهة ومن المحيط الاجتماعي من جهة أخرى ، حيث التعبير عن مشاركة الجميع لمصاب أهل الميت بتقديم العزاء لهم ،وتشييعه والصلاة على روحه وتقديم العون المادي لهم في محاولة للتخفيف من أعباء تكاليف الوفاة ،وقد حاولت هذه الطقوس تحقيق نوع من التوازن والتوافق بين ما ينتجه المجتمع للتعامل مع ظاهرة الموت وبين ما يفرضه الشرع في هذا الإطار . غير أن هذه الدراسة كشفت مجموعة من الأشياء نعتبرها بمثابة أفاق جديدة في البحث العلمي المعمق ، في هذه الظاهرة من الناحية السوسيولوجية والأنتروبولوجية، ومنها ما يتعلق بالمبالغة في أشكال التعبير عن الحزن و كذلك مسألة الاحتفالات التقليدية ،التي تبتدأ بالاحتفال باليوم الثالث إلى ذكرى الأسبوع ثم ذكرى الأربعين ، ودون أن ننسى مسألة الاتصال بالميت من خلال زيارة قبره والقيام بممارسات طقسية غريبة من إشعال الشموع والبخور... وغيرها، وكل هذا من أجل – وفقا للمجتمع الدراسة – خلود النفس الإنسانية وبقاء ذكراها من جهة وتحقيق الراحة والطمأنينة للميت من جهة أخرى.

لقد كشفت هذه الدراسة الميدانية التغيرات التي بدأت تمس البنية الطقسية لمجتمع الدراسة وبخاصة لدى الأجيال الحالية ،هذا إذا علمنا أن الدراسة وقعت على مجتمع قروي السمة الغالبة عليه الأمية والبساطة ، إذن فما هو واقع الممارسة الطقسية بالمجال الحضري حيث التكنولوجيا فعلت فعلها في شبابها وشيبها ؟

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

البيبليوغرفيا

- **المصادر**

جمال الدين بن منظور، لسان العرب ،ج٥٥،دار المعارف ،القاهرة، مادة "دين " ،المجلد ٢ ،

محمد الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات مكتبة لبنان ،بيروت ،١٩٨٥،

المعجم الوسيط ،باب الجيم ،القاهرة، سنة ١٩٧٢،

- **المراجع**

الوائلي ،عبد الجبار ،العقل والنفس والروح ،منشورات عويدات ،بيروت،١٩٨٢،

فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس إبراهيم : الأنتروبولوجيا الثقافية ،دار المعرفة ، الأزارطة ،مصر،

عبد الرحيم بوهاها ،"طقوس العبور في الإسلام": دراسة في المصادر الفقهيّة" الطبعة الأولى، ٢٠٠٩،

ISSN : *2537-0421* eISSN : *2537-043X*